هل مكة مركز الكون؟

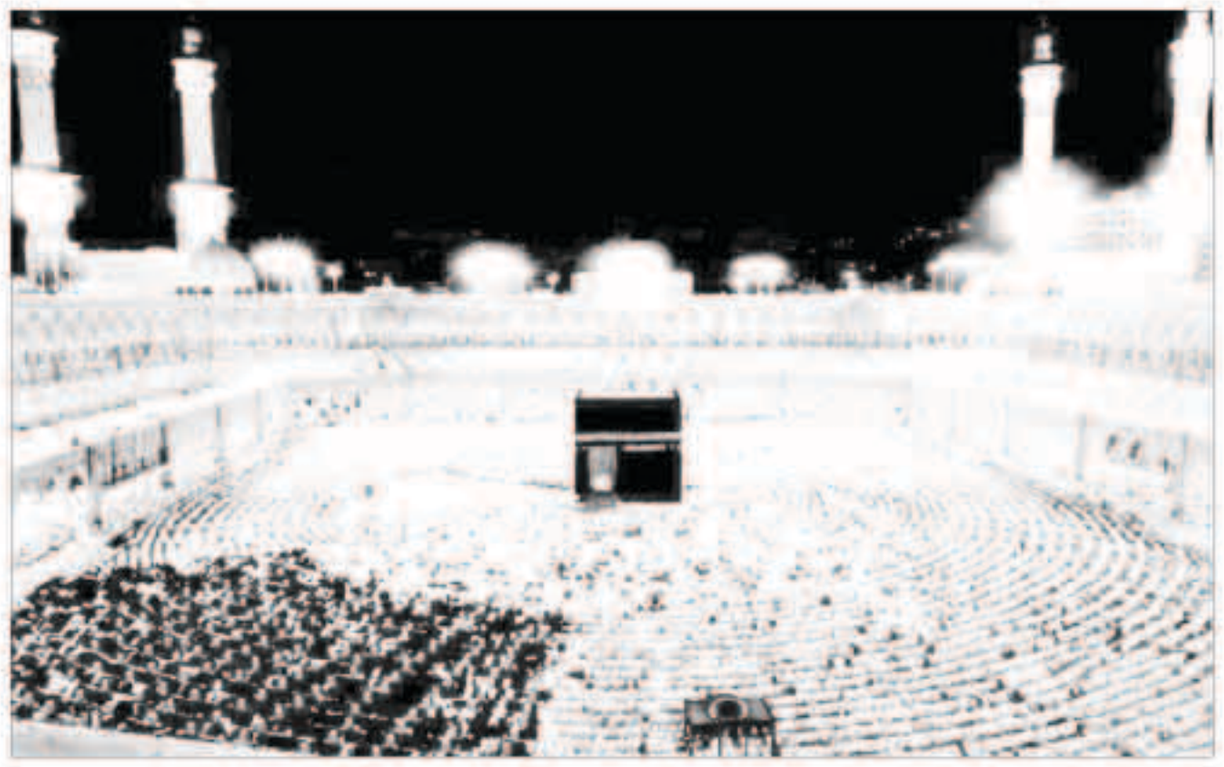

منذ ما يقارب ربع مليار سنة كانت اليابسة قارة واحدة جمعت كل القارات يحيط بها بحر واحد محيط سميت أم القارات Pangea، هذا ما انتهى إليه الفرد فيجنر Alfred Wegener وأعلنه عام 1915 استنادا إلى جملة شواهد تأكدت لاحقا ضمن نظرية انزياح القارات Continental Drift وخلاصتها أن القارة الأم قد تصدعت مع الزمن إلى قطع متجاورات، وتنزاح حتى اليوم عن بعضها البعض ببطء شديد نتيجة لتيارات الصهير، وموران الباطن تحت القشرة، فانزاحت قطع جهة الشرق، وأخرى جهة الغرب، وتميزت سبعة أبحر، وكان موقع المنطقة العربية في الوسط كما هو اليوم.

وتلتقي تلك المعلومات الحديثة مع جملة آيات في القرآن الكريم كقوله تعالى: «أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور» [الملك:16]، وقوله تعالى: «وفي الأرض قطع متجاورات» [الرعد:4]، وأما الحركة البطيئة للقارات التي تحملها تيارات الباطن إذا ميزناها بحركة الجبال، ومثلناها بحركة السحاب تحمله تيارات الهواء فإنها تلتقي تماما مع الدلالة العلمية المكنونة في قوله تعالى: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» [النمل:88]؛ لأن حركة قطع الغلاف الصخري المميز بالجبال بالنسبة لما دونها تماثل تماما حركة السحاب بالنسبة للجبال في البطء النسبي، وطبيعة الحركة، حيث أن كليهما محمول.

وأهم معلم في جزيرة العرب منذ القدم هو مكة المكرمة، وقد كانت تتوسط قوافل التجارة بين الشمال والجنوب، وتخرج منها الرحلات شمالا في الصيف، وجنوبا في الشتاء؛ وفق ما سجله القرآن الكريم منّا على قريش أوسط قبائل العرب في قوله تعالى: «لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» [قريش:1-4]. وبالفعل طول الرحلة من مكة المكرمة المحيطة بالبيت الحرام نحو الشمال حيث تقع بلاد الشام، يماثل طول الرحلة نحو الجنوب.

ومن هنا ذهب قوم إلى القول بوسطية مكة المكرمة لأمة العرب التي تتوسط بقية الأمم، وأن الكعبة التي تتوسط البيت الحرام هي (مركز الأرض)، أو بالأحرى التماسا لدقة التعبير منعا للالتباس يمكن القول انها (وسط المعمورة)؛ لأن مركز الجسم الكروي نقطة تقع في اللب والمعلوم أن كوكب الأرض جسم كروي، لذا لا يليق هندسيا وصف منطقة على سطحه بأنها مركز الكوكب. واختيار مكة المكرمة إذن لتكون مبعث خاتم النبيين، وجعل قبلة المصلين على وجه الأرض نحو الكعبة المشرفة ليس مبنيا على المصادفة، وإنما هو مبني على العلم بأنها وسط المعمورة، وأنها الأنسب لانطلاق دعوة خاتم النبيين للناس اجمعين خاصة مع تفرد العرب بقريحة صافية حافظة وملكات لسانية جعلتهم يبلغون الذروة زمن تنزيل القرآن الكريم في البيان، قال ابن تيمية المتوفى سنة 728 هـ: «العرب والروم والفرس.. هم سكان وسط الأرض طولا وعرضا.. وغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها فقيل لهم عرب من الإعراب وهو البيان والإظهار وذلك (خاصية) القوة المنطقية».

وقال البروسوي المتوفى سنة 1137 هـ: «في بعض الآثار.. يبست الأرض في موضع البيت كأنها قبة، وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الأرض -طولها والعرض-. فهي أصل الأرض، وسرتها في الكعبة وسط الأرض المسكونة».

أما الحديث الدال عن أن مكة المكرمة والبيت خاصة هو أصل الأرض الذي مدت منه إلى بقية الأطراف فقد ذكره البيهقي المتوفى سنة 458 هـ في كتابه شعب الإيمان مرفوعا بإسناده إلى عبدالملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أول بقعة وضعت في الأرض موضع البيت، ثم مدت منها الأرض، وإن أول جبل وضعه الله عز وجل على وجه الأرض أبو قبيس (بمكة) ثم مدت منه الجبال، وقد نقله عنه الرازي المتوفى سنة 606 هـ والسيوطي المتوفى سنة 911 هـ وذكرته عدة مراجع إسلامية أخرى مثل كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر (ج2ص35) وسبل الهدى والرشاد (ج1ص141) وتاريخ دمشق (ج35ص133)؛ ولكن الألباني قد حققه حديثا وقال عنه: «ضعيف».

وقد ذهب كثير من المفسرين رحمهم الله تعالى جميعا إلى القول بوسطية مكة المكرمة، ووسطية الكعبة المعمورة أو وجه الأرض: قال الرازي المتوفى سنة 606 هـ: «قالوا الكعبة سرة الأرض، ووسطها فأمر الله تعالى جميع خلقه بالتوجه إلى وسط الأرض في صلاتهم» وفي تفسير قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه» [البقرة:143]: قال أبو حيان الإندلسي المتوفى سنة 745 هـ: «قيل المعنى كما جعلنا الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطا»، وقال البقاعي المتوفى سنة 885 هـ: «أي مثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لأنها إلى البيت العتيق الذي هو وسط الأرض» ، وفي تفسير قوله تعالى: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها» [الأنعام:92]: قال أبو حيان: «أم القرى: مكة: وسميت بذلك لأنها منشأ الدين، ودحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج، ومكان أول بيت وضع للناس، والمعنى: ولتنذر أهل أم القرى ومن حولها وهم سائر أهل الأرض: قاله ابن عباس.. لأن الأبنية لا تنذر كقوله (واسأل القرية) لأن القرية لا تسأل، ومثله قوله تعالى: «وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها» [الشورى:7]، وقال ابن عادل المتوفى بعد 880 هـ: «قال الأكثرون بكة اسم للمسجد والمطاف، ومكة اسم البلد لقوله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين» [آل عمران:96]... وسميت بكة لازدحام الناس: قاله مجاهد وقتادة وهو قول محمد بن علي الباقر».

وقال أطفيش المتوفى سنة 1332 هـ: «يقال وسط الأرض مكة، ولو بسط خيط إلى الجهات منها لتساوت إليها»، وقد تحقق فعلا أستاذ المساحة د. حسين كمال الدين حديثا أن أطراف القارات تمس محيط دائرة مركزها مكة المكرمة مما يؤكد أن هذا الكتاب العزيز قد أنزل بوحي من الحكيم العليم وحده بكل شيء حتى أن تشريعاته قد بنيت على العلم بخفايا التكوين.

من عجائب السجود

بما أن جسمك يستقبل قدرا كبيرا من الأشعة الكهرومغناطيسية يوميا جراء الأجهزة الكهربائية التي تستخدمها، والآلات المتعددة التي لا تستغني عنها، والإضاءة الكهربائية التي لا تحتمل أن تنطفئ ساعة من نهار.. فإن بدنك يعمل كجهاز استقبال لكميات كبيرة من الأشعة الكهرومغناطيسية أي أنك مشحون بالكهرباء وأنت لا تشعر وتكون النتيجة لهذا الشحن: صداع، وشعور بالضيق، وكسل وخمول، وآلام مختلفة تشعر بها أحيانا ولا تعرف سببها؟!

فكيف الخلاص إذن؟

باحث غربي غير مسلم توصّل في بحثه العلمي إلى أن أفضل طريقة لتخلّص جسم الإنسان من الشحنات الكهربائية الموجبة التي تؤذيه جراء الشحن اليومي أن يضع جبهته على الأرض أكثر من مرة، لأن الأرض سالبة فهي تسحب الشحنات الموجبة

كما يحدث في السلك الكهربائي الذي يُمَدّ إلى الأرض في المباني ليسحب شحنات الكهرباء من الصواعق إلى الأرض، ضع جبهتك على الأرض حتى تُفرغ الشحنات الكهربائية الضارة، ويزيدك البحث بيانا وإدهاشا حين يقول: الأفضل أن توضع الجبهة على التراب مباشرة!

ويزيدك إدهاشا أكبر حينما يقول: إن أفضل طريقة في هذا الأمر أن تضع جبهتك واتفك ويديك وركبتيك وقدميك على الأرض وأنت في اتجاه مركز الأرض، لأنك في هذه الحالة تتخلص من الشحنات الكهربائية بصورة أفضل وأقوى!! وتزداد اندهاشا حينما تعلم أن مركز الأرض علميا هو مكة المكرمة!

وأن الكعبة هي محور الأرض تماما كما أثبتت ذلك الدراسات الجغرافية باتفاق المتخصصين جميعا!

إذن فالسجود لله في صلواتك - أيها المسلم هو الحالة الأمثل لتفريغ تلك الشحنات الضارة، وهي الحالة الأمثل لقربك من خالق هذا الكون ومبدعه سبحانه وتعالى.

الوصف القرآني للكهف يكشف معجزة معمارية

قدم القرآن الكريم في سورة الكهف وصفا معماريا دقيقا للكهف الذي مكث فيه الفتية (ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعا)، الأمر الذي لفت أنظار الباحثين.

في التصميم المعماري والهندسي، ومع ظهور «علم التصميم البيئي» أحد الفروع الجديدة للعلوم الهندسية، الذي يراعي التوافق بين الإشتراطات البيئية وحركة الشمس والأرض وبين التصميم المعماري، بدأ الاهتمام يتركز على نماذج مثالية لهذا التوافق، حيث لم يكن هناك أفضل من كهف الفتية التي قصت علينا قصتهم السورة الكريمة، وأوردت وصفه المعجز كلمات الله العلي القدير، الأمر الذي قاد الباحثين إلى تحديد موقع ومكان الكهف وصفاته وأوصافه المعمارية البديعة التي تدل على أنه معجزة وآية من آيات المولى عز وجل.

ويوضح الدكتور يحيى وزيري أستاذ العمارة الإسلامية (مصر) أن تصميم الكهف يتوافق مع حركة الشمس ففي فترات الغروب، وحتى بالرغم من دخول بعض البقع الضوئية فإنها لا تصل إلى الفجوات الموجودة في الكهف بل تصل فقط إلى الصالة المركزية (الوصيد).

ويقول د.وزيري كما ذكرت صحيفة «الأهرام» المصرية، إن تصميمات الكهف توضح إمكانات توفير الظلال صيفا ودخول قدر ضئيل من الشمس شتاء، وفي الاعتدالين في فترات الغروب إلى جانب التهوية الجيدة، التي تسهم باستمرار في تجديد الهواء بهذا الكهف.

ويشير د.وزيري إلى اختلاف الآراء والتفسيرات حول موقع هذا الكهف إلا أن الدلائل التاريخية والأثرية والجيولوجية تشير إلى أنه موجود بجبل الرقيم بالأردن جنوب العاصمة عمان، ودراسة حركة الشمس تؤكد ذلك في قوله تعالى: «وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا» (الكهف 17). ويؤكد د.وزيري أن من أبرز الدلائل على أن الكهف الموجود في الأردن هو نفسه المذكور في القرآن الكريم، العثور على بناء أثري بني فوق الكهف وهو الذي يشير إليه قوله تعالى: «فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» (الآية 21)، فقد أثبتت الحفريات وجود بنيان فوق هذا الكهف، كان معبدا ثم تحول إلى مسجد في العصر الإسلامي، حيث يوجد بقايا سبعة أعمدة، كما تم العثور على ثمانية قبور بنيت بالصخر، أربعة منها يضمها قبو يقع على يمين الداخل للكهف والأربعة الأخرى تقع في قبو على يسار الداخل الكهف، والمرجح أنها قبور الفتية التي قص القرآن قصتهم، كما تم العثور على جمجمة لكلب.

التوبة تمحو الذنوب

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾.. (الزمر: 53).

تشير هذه الآية وما بعدها إلى فتح باب الرجاء في فضل الله ومغفرته للذنوب مهما بلغت ولو كانت مثل زبد البحر أو عدد القطر أو المطر أو الرمل، فرحمة الله وسعت كل شيء، وهو يرحم بها عباده التائبين المتقين وليست رحمة الله بالتائبين تقف عند هذا الحد بل تتعدى ذلك إلى تبديل السيئات إلى حسنات وهذا من فضل الله صاحب الفضل والمنة.

ومن أجل ما روي فيها ما رواه محمد بن اسحق عن نافع عن بن عمر عن عمر قال: لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت أنا وهشام بن العاصي بن وائل السهمي وعياش بن أبي ربيعة بن عتبة فقلنا: الموعد أضاه بني غفار.

وقلنا: من تأخر منا فقد حبس فليمض صاحبه فأصبحت أنا وعياش وحبس عنا هشام وإذا به قد فتن فافتتن، فكنا نقول بالمدينة هؤلاء قد عرفوا الله عز وجل وآمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ثم افتتنوا البلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا أنهم أيضا يقولون ذلك في أنفسهم.

فأنزل الله تعالى في كتابه: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثتها إلى هشام، قال هشام : فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي دوي فقلت : اللهم فهمنيها فعرفت إنها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله فأنزل الله هذه الآية.

وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : أتى وحشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتيتك مستجيرا فأجرني حتى أسمع كلام الله فقال صلى الله عليه وسلم : قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما وإذا أتيتني مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله.

قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله ولا تيت هل يقبل الله مني التوبة؟ فصمت النبي حتى نزلت ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ إلى آخر الآية، فقال: أرى شرط فلعلي لا أعمل عملا صالحا أنا في جوارك حتى اسمع كلام الله.

فنزلت: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فدعاه فتلاها عليه، قال: فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾.

فقال: نعم الآن لا أرى شرطا فاسلم، فالتائب تغفر له ذنوبه كلها يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ وقال عنها ابن عمر هذه أرجى آية في القرآن فرد عليه ابن عباس وقال: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾.

وقد فهم الأولون ذلك وعملوا بمقتضاه فعادوا إلى الله تائبين فانسوا برحمة الله بعد وحشة المعصية، ودخلوا سرادق الرحمن بعد أن أقاموا وقتا في خيمة الشيطان، فعن عمر أن بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما أم امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي.

فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم وليها فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فائتني ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟.

قال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل... رواه مسلم. إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والندم توبة ومن هنا فقد وقف الأولون مواقف إيمانية بعد أن علموا بسعة رحمة الله وعموم فضله وأرادوا أن يطهروا أنفسهم من ذنوب اقترفوها ومن خطايا ألموا بها.